الأستاذة الدكتورة: **نعيمة سعدية**
أستاذة مقياس الأسلوبية وتحليل الخطاب للسنة الثانية ل.م.د نخصص دراسات لغوية ونقدية قسم الآداب واللغة العربية –كلية الآداب واللغات –جامعة محمد خيضر بسكرة.

المحاضرة الخامسة05. الأسلوبية والعلوم الأخرى

1–الأسلوبية و البلاغة :

يتضح مما سبق أن البلاغة كانت عند العرب وعند الغربيين المنهج الأساسي المعتمد لتقييم الأعمال الفنية .وقد دفع هذا الشبه القوي بين البلاغة والأسلوبية في أهدافها و وسائلها " بيار غيرو"(P.GUIRAUd) إلى اعتبار البلاغة أسلوبية القدامى ، والأسلوبية بلاغة حديثة أو وريثة لها، إذ يقول :" الأسلوبية بلاغة معاصرة في شكليها 1. علم التعبير . 2. نقد الأساليب الشخصية"[1] ، وإن هذا تبسيط لمفهوم الأسلوبية وافتقار لكينونتها؛ إذ أنه وإن تعالقت الأسلوبية مع البلاغة بأكثر من علاقة ومسار، إلا أنها تفترق عنها في الغاية والمفهوم والاهتمامات وحقيقة الظاهرة، وطريقة التعامل معها.

و لقد كان هذا مدعاة لبروز اتجاه مقابل يرفض القول بان الأسلوبية بلاغة جديدة؛ فالأسلوبية عندهم وليدة البلاغة وبديل لها في عصر البدائل، وبين البلاغة والأسلوبية فروق واضحة تنم عن معيارية الأولى و وصفية الثانية [2]، وعلى العموم فعلاقة البلاغة بالأسلوبية أخذت أبعادا مختلفة لعل أهمها ما يلي:

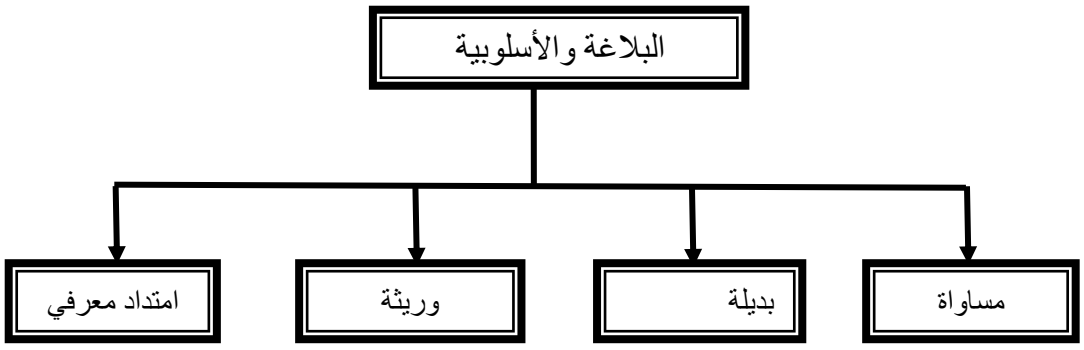

2- الأسلوبية والنقد الأدبي:

[1] – بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية ، ص 15 .

[2] – ينظر: الهادي الجطلاوي ، مدخل إلى الأسلوبية، تنظير وإنجاز، دار عيون، الدار البيضاء ، ط 1، 1992، ص 17 . وينظر : عبد السلام المسدى ، الأسلوبية والأسلوب ، ص 165 .

لقد بقيت علاقة الأسلوبية بالنقد الأدبي فترة طويلة علاقة مبهمة، فبما إن الأسلوبية وليدة البلاغة وبديل لها و بما أن البلاغة قديما كانت أداة توظف لخدمة النقد الأدبي، فهل تع دّ وريثا مثلها و وسيلة من وسائل النقد؟ أم نعتبرها منهجا مستقلا متميزا من مناهج النقد ومباشرة النصوص ؟

لقد ميز الدارسون في النقد بين موقفين مختلفين [1]: أحدهما يكتفي بالنص الأدبي، و يعتبره مادة صالحة للبحث تكتفي بنفسها، فنجد الباحث ينكب على وصف ذلك الأثر الفريد وكشف خصائصه الشكلية و الدلالية. أما الموقف الثاني فلا يعتبر الأثر مستقلا بل يراه نتاجا أو صدى لجملة من القوانين العامة الخارجة عنه، وهم الباحث–هنا– يتمثل في تنزيل الأثر في إطار من تلك القوانين ومحاولة الاستدلال عليها انطلاقا من الأثر نفسه؛ فهذا الأخير وسيلة لغاية لا تكمن فيه ،وتلك الغاية تختلف باختلاف الدارسين ، فمنهم من يحلل العمل الأدبي تحليلا نفسيا أو باطنيا ومنهم من يحلله تحليلا اجتماعيا أو تاريخيا أو ابستومولوجيا ...إلخ، ويرى شينزر بان" الأسلوبية هي جسر الألسنية إلى تاريخ الأدب"[2]

ويؤكد ويليك و وارين(waren / weluk) أن الدراسة الألسنية" ما إن تكرس نفسها في خدمة الأدب حتى تستعمل الأسلوبية". أما ستاروبنسكي(starbouneskoy) يذهب إلى إثبات " أن الأسلوبية هي رفع الحواجز بين اللغة وتاريخ الأدب، وهي بموجب ذلك علم شامل الدلالات المعكوسة في جهاز الأثر الأدبي"[3] ،

ويجزم بيار جيرو قائلا :" أن الأسلوبية مصبها النقد وبه قوام وجودها " [4]؛ و مهمة الأسلوبية هنا وضع بيان كامل بوسائل التعبير في حالات اللغة المختلفة وتصنيفها، وتوضيح علاقاتها بحثا عن نماذج كبرى تندرج فيها ، و تتحرك في إطارها .

فإذا استقر لدينا أن الأسلوبية هي نظرية علمية في دراسة الأسلوب . وأنها كبقية المناهج النقدية . تسعى إلى بلورة نظرية في تعريف الخطاب الأدبي ، أفلا يكفي هذا، لتصبح الأسلوبية نظرية نقدية، فتكون بديلا عن النقد الأدبي.

إن التقارب بين الأسلوبية والنقد، من أجل كشف خفايا النص، جعل من الأولى إحدى مناهج الثاني، من جهة. وجعل الأسلوبية تتولى وصف أوجه التراكيب و وظيفتها في النظام اللغوي النصي، بينما يتجه النقد إلى إعطاء العلل والأسباب، من جهة ثانية. و عليه يمكن القول : "في النقد بعض ما فيه الأسلوبية و زيادة ، وفي الأسلوبية ما في النقد إلا بعضه "[1].

---

[1] – الهادي الجطلاوي ، المرجع نفسه ، ص 18 .

[2] – محمد عزام، الأسلوبية منهجا نقديا ، ص 42 .

[3] – المرجع نفسه ، ص 43 .

[4] بيار جيرو، الأسلوب والأسلوبية ، ص 17 .

3-الأسلوبية واللسانيات:

إن من دعائم النقد اللغوي ومقوماتها اعتبار اللغة مادة الأدب؛ منها يكون المنطق في تحليله وعليها يكون التركيز، واللغة في الأدب ليست مجرد وسيلة إبلا غية، بل هي غاية في حد ذاتها، لما تنفرد به من خصائص تعبيرية؛ فالفن والإبداع والتمييز في الأثر يكمن في لغة الأديب، باعتبارها لغة متميزة، لا مثيل لها ، تهدف الأسلوبية إلى دراستها عبر كل المستويات . لتبرز علاقة الأسلوبية باللسانيات (علاقة جزء بكل) ، و أمام سعي الكل إلى تطوير نفسه: مبادئ ونظريات، بشتى الطرق والوسائل، كان لزاما على الباحث الأسلوبي أن يستفيد من المبادئ الأساسية المطروحة في هذا العلم ونظرياته المتنوعة والكثيرة، ومنه اشتركت الأسلوبية مع جميع الاتجاهات اللسانية، دون التعصب إلى اتجاه لساني بعينه؛ فنجدها قد استفادت من المفاهيم الأساسية التي طرحتها اللسانيات الشكلانية الحديثة، التي تعود جذورها إلى لسانيات فردناند دي سوسير(F. DE.SAUSSEURO) . كما اشتركت مع لسانيات أفرام نعوم تشو مسكي (N.a. CHOMESKY)، في تناولها ما سمي البنية العميقة والبنية السطحية، وغيرها من المفاهيم التشومسكية.

وفي هذا الإطار، يبين لنا إيريك انكفيست (E. ENKEVIST) كيف يمكن لبعض المفاهيم اللسانية استثمارها في حقل الأسلوبيات ، وذلك من خلال استشهاده بفرضية تشو مسكي حول مفهوم القوا عدية و القبولية، لأن ما يمكن أن يحقق معيار القوا عدية في جملة من الجمل، لا يحقق معيار القبولية لنفس الجملة، خاصة عند دخول الناحية التواصلية بين المرسل و المتلقي؛ فليس كل ما هو قواعدي يقبله الناس وليس كل ما هو مقبول ينسجم مع قواعد اللغة [2]. وهنا تتحرك الأسلوبية.

فالعلاقة بين الأسلوبية و اللسانيات علاقة عضوية ، فهي فرع من فروع علم اللسان وهي اصغر تلك الفروع سنا و واقلها تطورا ، وهي تنتسب إلى اللسانيات موضوعا و منهجا؛ أما موضوعها، فهو النظر في النتاج الأدبي، باعتباره حدثا لغويا لسانيا. وأما منهجها ففي النفاذ إلى أسلوب النص، لأنه المنهج اللغوي، الذي يروم الوقوف على الخصائص اللغوية فيه، وعلى العلاقة الرابطة بين هيكله اللغوي و وظيفته الشعرية ، وعليه كانت الأسلوبية حقلا لسانيا متميزا.

4-الأسلوبية والشعرية :

---

[1] - نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ، ج1 ، ص 53 .

[2]- ايريك انكفيست، الأسلوبية اللسانية ، ترجمة محمد يحياتن، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، قسنطينة،2002، ص 32.

الشعرية " مصطلح يتلألأ بين الأصالة والحداثة؛ [1]، تعدّ نهجا، علما، آلية، وحدة تقييمية نستقصي- من خلالها- الجماليات و الشعريات الماثلة والقابعة في الأعمال والآثار الأدبية، والتي تتيح للقارئ الاستمتاع والتلذذ بالنص الذي يقرأ .

إن الشعرية- على هذا الأساس-« تهتم بقضايا البنية اللسانية تماما مثل ما يهتم الرسم بالبنيات الرسمية، وبما أن اللسانيات هي العلم الشامل للبنيات اللسانية فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات » [2]؛ فلما كانت الأسلوبية فرع ألسني يهتم بأسلوب المتكلم وجماليته ومقدار عدوله عما هو مألوف، كانت الشعرية فرعا لسانيا، يهتم بالبنى اللسانية وتشكلها وتنوعها في النص، فكان تعامل الشعرية مع اللسانيات مسألة حتمية ذلك أن الشعرية حقل معرفي يقارب النصوص اللغوية الأمر الذي يجعلها أكثر تماسا مع منهجية اللسانيات، في بحث الاختيارات اللغوية وتنظيم المعنى النحوي.

وتظهر نقاط التلاقي بين الأسلوبية والشعرية في دراسة المقومات والمميزات الأساسية في النص (الرسالة)، والتي أسهمت في تحقق الوظيفة الشعرية؛فالتداخل حاصل بين الشعرية والأسلوبية، هذه الأخيرة المعنية بمفهوم الانزياح "والجنس الأدبي"و"الخطاب "، لذلك تقاطعت مع الشعرية، في دراسة المفاهيم السابقة خصوصا ذلك المسمى بالأسلوب الشعري الرمزي، والأسلوب النثري.

ويذهب الدكتور عبد الله الغذّامي إلى توضيح الصلة بين الأسلوبية والشعرية فيقول: « وتتحد الأسلوبية مع الأدبية ليتضافرا معا في تكوين مصطلح واحد يفهمهما ويوحدهما ثم يتجاوزهما وهو مصطلح(poetics) »[3]وعليه فالشعرية لا تهتم بالبحث عن الصفة المميزة للأسلوب ولا تدرس خصائص العلامات إلا في صميم العمل الأدبي.

إذن، تهدف الشعرية إلى تحليل الأعمال الأدبية تحليلا لسانيا صرفا" في سبيل البحث فيها –لسانيا-عن المكونات الكلامية للخاصية الأدبية من حيث هي"أدبية"...، إنه ترسيخ عميق فعلي يتسم بسمتين أساسيتين: البحث اللساني والأدبية" [4]؛ ذلك أنّ العمل الأدبي وحدة تدرك من حيث هي كلّ مكوّن من مجموعة كبيرة من العلاقات الداخلية، علاقات بين العناصر وارتباطها بالمجموع، وبين العناصر فينا بينها.

---

[1] – فاضل ثامر، اللغة الثانية: في إشكالية المنهج والنظرية والمصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص 101 .

[2] – رومان جاكوبسون، قضايا الشعرية، نرجمة: محمد الولي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص 24 .

[3] – عبد الله الغذامي ، الخطيئة والتفكير، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985، ص 18 .

[4] –جورج مولينيه، نفسه،ص85.